اسم الدرس : تفسير سورة الأنعام | ح١١ | الآيات [٦٥ : ٧٠]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ نُكمل بإذن الله ـعز وجلـ ما بدأناه في تفسير سورة الأنعام.

كنا توقفنا عند قول الله ـعز وجلـ {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ}[الأنعام ٦٥] وشرحنا هذه الآية بالتفصيل المحاضرة الماضية.

المحاضرة الماضية كلها كانت في قول الله ـعز وجلـ {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ}[الأنعام ٦٥] كانت المحاضرة خروج عن السياق القرآني لسورة الأنعام **لتحرير مسألة الاختلاف بين المسلمين**، وما يؤدي إليه هذا الاختلاف أن أصبح بأسُنا موجّهًا لبعضنا البعض، بدلًا من أن يكون موجّهًا للكفار المحاربين {انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ}[الأنعام ٦٥]

نُكمل مرة أخرى السياق القرآني في خطاب النبي ـصلى الله عليه وسلمـ إلى هؤلاء المشركين، الذين يرفضون الآيات، ومهما طُرح عليهم من آيات قرآنية من بداية السورة.

ربنا ـسبحانه وتعالىـ في بداية السورة قال أن هناك نورًا وهناك ظلمات، وأن هناك ناس تختار الظلمات وتترك النور بالرغم من وضوح الآيات، ويتعنتون في طلب الآيات، وذكرنا أن هناك أصنافًا:

»صنف يتعنت ويريد آيات.

»وصنف يريد ملائكة تنزل من السماء.

»وصنف يزعم أنه يسمع القرآن.

وصنوف يتوالى مجيئها في التعامل مع آيات ربنا سبحانه وتعالى.

فيقول الله ـعز وجلـ استكمالًا للخطاب عنهم، يخاطب النبي ـصلى الله عليه وسلمـ ويقول له:

آية ٦٦ سورة الأنعام {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ * لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}[الأنعام ٦٦-٦٧]

{وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ} بماذا كذبوا؟ هذه الهاء علامَ تعود؟ العجيب بالرغم أن أغلب أو كثير من المفسرين المتأخرين قالوا القرآن، إلا أن المتقدمين قالوا {وَكَذَّبَ بِهِ}أي بالعذاب المذكور في قول الله _عز وجل_ {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا}[الأنعام ٦٥]

هذا العذاب من فوقهم، من تحتهم، {يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ}[الأنعام ٦٥]، أنواع هذا العذاب هدد الله _عز وجل_ به المعرضين عن الآيات... فربنا يقول للنبي _صلى الله عليه وسلم_ :هم لا يتأثرون بهذا التخويف بالعذاب؛ لأنهم يُكذبون بالعذاب. ورجحوا هذا القول بدليل الآية التالية {لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ}[الأنعام ٦٧] أي أن كل وعد، كل خبر، له وقت سوف يحدث فيه، كل وعد من الوعود التي أنت قلتها يا رسول الله لهم، سوف يأتي وقت ويقع... قد يكون في الدنيا، وقد يكون في الآخرة.

وإن كان بعض المفسرين مثل ما قُلنا، قالوا {وَكَذَّبَ بِهِ}[الأنعام ٦٦] أي بالقرآن فلا تُشغل نفسك بهم، فمن كذب بالقرآن فلن ينفعه شيء بعد القرآن، مثلما سيأتي في سورة الأنعام:{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ}[الأنعام ١١٠] أي من لا يؤمن بالقرآن أول مرة، سيظل قلبه مُتقلبًا، لن يستقر على شيء أبدًا.

{وَكَذَّبَ بِهِ}[الأنعام ٦٦] أي بالعذاب ونحن قد قلنا سياق سورة الأنعام لماذا يذكر العذاب؟ ليضغط على الفطرة الإنسانية؛ لتستجيب لربنا، وقلنا إسقاط هذا مثلًا حين تُحدث الشباب أو تُحدث الناس في الشارع أو تحدث أحد أصدقائك، تريد أن تضغط عليه تذكره بلحظات ضعفه، تقول له تذكر عندما تكون نائمًا على فراش المرض، تذكر لحظة الموت، تذكر كذا، تذكر لو أنك وقعت في مصيبة، لو وقعت في أزمة، هذه اللحظات يتذكر الإنسان فيها الله _عز وجل_ فطرةً. كما كان المشركين حين يكونون في منتصف البحر، يتذكرون الله _عز وجل_ بدون مُذكر، بدون أن يكون معهم نبي، ولا رسول، ولا قرآن، عندما يكون في منتصف البحر يقول: آمنت، إذًا أنت دورك أن تُذكره بهذه اللحظات، وتصور له نفسه وهو واقع في هذه المواقف، لكن الإشكالية لو سيظل يُكذب بوقوع العذاب!.. يقول لك: لا، هذا لا يمكن أن يحدث، وهذا دائمًا **الوهم** الذي يعيشه الطغاة، دائمًا يقولون: {مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ

أَبَدًا}[الكهف ٣٥] دائمًا الطغاة يعيشون في مرحلة الوهم، يظن أنه مُحتمي بخيوط العنكبوت، يظن أنها تحميه.

{وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ}[الأنعام ٦٦] وهنا نفس الخلاف الموجود في الهاء السابقة، فهناك من قال {وَهُوَ الْحَقُّ} أي العذاب هو الحق، أي سوف يأتي لو استمروا على الإعراض، أو {وَهُوَ الْحَقُّ} أي القرآن الحق مهما كذبوا به.

{قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ}[الأنعام ٦٦] أنا قلت لكم، ووضحت لكم، وحاورتكم بكل أنواع المحاورات، وأنتم رافضون، أنا لا أستطيع أن أسيطر عليكم، ولست عليكم بوكيل، ولست عليكم بحفيظ، ولكن اعلموا أن {**لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ**}[الأنعام ٦٧] هذه قاعدة مهمة جدًا، كل نبأ: أي كل خبر عظيم سيستقر، أي: إما سينتهي _هذا لو أخذنا الآية كمثال شائع_ ، أو{لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ}[الأنعام ٦٧] أي أن كل وعد له وقت سيحدث فيه.

لما نزل قول الله _عز وجل_ {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}[القمر ٤٥] هذه الآية نزلت في مكة، هذا نبأ عظيم لما نزل على المسلمين فرحوا به، أن الجمع سوف يُهزم ويولون الدبر، متى كان مستقر هذا النبأ؟ في بدر **بعدها بسنين**، كان في بدر.

فربنا يقول للنبي _صلى الله عليه وسلم_ قل لهم كل وعد له وقت سيحدث فيه، ليس شرطًا أن يكون غدًا، لا، سيأتي له وقت.

عندما تأتي التهديدات للطغاة أن كل طاغية سوف يهلك، ليس شرطًا أن يحدث وأنت حي؛ لذلك أغلب المراحل التي يعيشها المسلمون هي مرحلة الابتلاء، لا مرحلة النصر، ثُلثي القرآن مكي، أي في وقت الاستضعاف، فكأن الغالب على أحوال المسلمين هو الاستضعاف.

لذلك فترات التاريخ _حين تنظر في التاريخ_ تجد فترات التمكين في التاريخ قليلة جدًا. تطول فترات تسلط للشيعة مثلًا، أو تسلط للتتار أو تسلط الصليبيين، تظل مثلًا قرونًا، أو تظل أزمنة طويلة، عقود، ثم يأتي نصر، ذلك النصر يستمر فقط خمسين سنة أو أقل ، ثم يحدث هزيمة مرة أخرى.

بعض الناس تكلم في ماهية الحِكَم لطول فترات الاستضعاف وقلة وقصر فترات التمكين، الدكتور راغب السرجاني كان له مقالة قيمة في هذا المجال، لماذا فترات الاستضعاف تطول وفترات التمكين تقل؟

الشاهد أن {لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ}[الأنعام ٦٧] ليس شرطًا أن تراه بعينك، وربنا قال للنبي ـصلى الله عليه وسلمـ وهو من هو، أنك قد لا ترى أنت بعينك النصر {فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ}[غافر ٧٧] {قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[المؤمنون ٩٣-٩٤] فكل هذه الآيات وغيرها، ربنا يقول للنبي ـصلى الله عليه وسلمـ: قد لا ترى الذي وُعِدوا به، والذي وُعِدوا به قد لا يكون في الدنيا، قد يكون تحقيقه في الآخرة، لكن أنت لابد أن يكون لديك **يقين** أن {لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ}[الأنعام ٦٧]، كل وعد ذُكر في القرآن سيحدث حتمًا، إما في الدنيا، وإما في الآخرة، قد تراه و قد لا تراه.

أو{**لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ**}[الأنعام ٦٧] كل قصة وثورة للباطل فترة قليلة وتنتهي، كل أزمة؛ كهذه الأزمة التي نحن نعيشها، كنت ذهبت لأحد المشايخ أكلمه، وأقول له الوضع صعب، وفتن وابتلاءات، والإخوة مقيدين عن الانطلاق في الدين والدعوة ، والأخوات مضطهدات...إلخ.

قال لي:{لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ}[الأنعام ٦٧] فترة قليلة وسينتهي كل هذا، كثيرًا ما حدث مثل هذا على مدار التاريخ، وتكون أزمات ، ونقول قضي الأمر، لن تقوم قومة للسنة، ولن يقوم قومة للدين وفترة والأمر ينتهي، ف {لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ}[الأنعام ٦٧] ،

مستقر نبأ الدين: هو التحقيق والتمكين.

مستقر كل أفعال أهل الباطل: هي الذوبان والذهاب والاضمحلال.

كما قال تعالى{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}[الاسراء ٨١]. فهذه الآية تطمئنك، مهما حدث من ابتلاءات، ومهما حدث من ضغط واستضعاف، كن على علم أن **العاقبة للمتقين**. مَنْ يتأمل أيام فرعون، سنين من العذاب والاستضعاف؛ [حتى أنهم كانوا يأتون بالمرأة الحامل ويعذبونها، يضعونها على أمواس، تقف على الأمواس؛ فتتقطع قدماها، ويسقط الجنين؛ لحدوث انقباضات في الرحم، يسقط الجنين منها، فتتقي بالجنين، أي تضع قدمها عليه من كثرة ما تكون في قدمها من التقطيع، لا تتحمل] رواه الطبري وغيره، في الوسائل التي كان فرعون يُعذب بها بني إسرائيل؛ لذلك عندما طال عليهم أمد العذاب، استبعدوا أن يكون هناك نصر، سيدنا موسى قال لهم: { عَسَىٰ

رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ}[الأعراف ١٢٩] ربما سيحدث، فقالوا له: {أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا}[الأعراف ١٢٩] .

لا يتصورون أنه سيأتي نصر، لكن جاء النصر، وأغرق الله ـعز وجلـ فرعون.

إذًا مهما طال البلاء، اعلم أن لكل نبأ مستقر.

{قُلْ جَاءَ الْحَقُّ}، ولما يأتي الحق:{وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ}[سبأ ٤٩]

إذًا مستقر نبأ الدين: هو التحقيق والتمكين في الدنيا قبل الآخرة {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}[غافر ٥١]

ومستقر نبأ أهل الباطل: الاضمحلال والزهوق، أنه يزهق.

{لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}[الأنعام ٦٧] لا بد للمؤمن أن يتكلم بهذا اليقين، أي يكون على يقين حتى وهو يموت ومستضعف يقول هذه الآية، يقول: {لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ}.

كيف ذلك وهو يموت الآن؟

ليس شرطًا أن أري أنا ذلك.

{لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ} لا بد للإنسان أن يكون على **يقين** من هذا الدين، لا يشك في موعود الله عز وجل.

مراحل الطغاة أقولها لكم سريعًا، مراحل ثلاثة، يمر بثلاث مراحل:

» **المرحلة الأولى**، كما قلنا **مرحلة الوهم**، أن الطاغية يعيش في الوهم {وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ}[الحشر ٢]

يقول لك: لا يمكن أن يسقط هذا الحصن{مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا}[الكهف ٣٥].

فرعون» {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ}[الزخرف ٥١].

عاد» {مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً}[فصلت ١٥].

النمرود» {أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}[البقره ٢٥٨].

هذه مرحلة كلهم يعيشونها، أنه لا يوجد أحد يقدر عليه، و أن لا أحد سيسلب منه ملكه، وأنه سيظل التوريث للمُلك أبد الآبدين، هذه مرحلة كلهم يعيشونها: مرحلة الوهم.

» **المرحلة الثانية، طول البلاء**، نحن نتوقع أن المرحلة الثانية أنه بمجرد قوله: {أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}[البقره ٢٥٨] ينزل العذاب، وبمجرد قوله {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ}[الزخرف ٥١] ينزل العذاب، وبمجرد قولهم {مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً}[فصلت ١٥] يستأصلهم الله... لا، يوجد مرحلة ما بين مرحلة الوهم، ومرحلة التمكين ونزول العذاب: مرحلة طول البلاء، التي فيها يقول المؤمنين: {مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ}[البقره ٢١٤]؟ التي يحدث فيها أن بعض المستضعفين يشعروا باليأس: {حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا}[يوسف ١١٠] يطول البلاء في هذه المرحلة، أغلب المسلمين يموت في هذه المرحلة، هذه المرحلة التي تُوفيت فيها أُمنا خديجة، والتي تُوفيت فيها سُمية، والتي تُوفي فيها مصعب _مرحلة ما قبل التمكين_ قبل أن يروا النصر بأعينهم قبل أن يروا {وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا}[النصر ٢]

»**المرحلة الثالثة، إهلاك الطغاة.**

الذي قال: {أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}[البقره ٢٥٨] مات ببعوضة،

الذي قال: {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ}[الزخرف ٥١] مات غرقًا،

الذين قالوا {مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً}[فصلت ١٥] هلكوا بريح،

هذه **مرحلة سقوط الأقنعة**، أنه يكتشف أنها كانت مجرد خيوط عنكبوت {مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ}[الحشر ٢].

إذًا هذه مراحل ثلاثة، **الأمة أطول مرحلة تعيشها هي مرحلة طول البلاء.**

دائمًا على مدار التاريخ يُستبطئ النصر، لكن لا بد أن تكون على يقين أن {لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ}[الأنعام ٦٧]، كل وعد سوف يتحقق؛ لذلك من أكثر الآيات التي من المهم أن نسمعها في هذه المرحلة: آيات مثل قول الله عز وجل {فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ}[ابراهيم ٤٧] لِمَ يقول ربنا للنبي ــصلى الله عليه و سلمــ وللمسلمين والخطاب مقصود به المسلمين {فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ}؟!

لأن ممكن بعض المسلمين يظن ويشك .. هل الله ــعز وجلــ يخلف وعده؟ ما الذي يدعوه أن يسأل هذا السؤال؟! الضغط الذي يعيشه، الضرب والإيذاء الذي يقاسيه؛ لذلك هذه الآية جاءت في أشد السور التي فيها ابتلاءات؛ سورة إبراهيم، اشتد عليهم الإيذاء {لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا}[ابراهيم ١٣] اشتد عليهم البلاء في سورة إبراهيم {فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ}[ابراهيم ٩]، الأقوام وضعوا أيديهم على أفواه الرسل، قالوا لهم: لم نعد نريد سماع شيء منكم، اشتد عليهم البلاء، فربنا يقول: {فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ}[ابراهيم ٤٧].

فالشاهد {لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}[الأنعام ٦٧].

{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا}[الأنعام ٦٨] عندما يطول البلاء وما زال الوعد لم يتحقق، هذه الفترة يستغلها أهل الباطل جدًا، و يستهزئون بأهل الدين، و يسخرون منهم، ويظلون يقولون لهم أين دينكم؟! ماذا فعل لكم هذا الدين؟!

كما قال فرعون {ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ} دعونا نرى ماذا سيفعل ربه هذا؟! {وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ}[غافر ٢٦] ربنا يقول: هنا صنف لأول مرة يُذكر معنا في السورة، عدة أصناف ذكرت في السورة:

صنف **المعرضين** عن الآيات،

صنف **المتعنتين** في طلب الآيات،

صنف **الذي يزعم أنه يستمع للقرآن**، {ومنهم من يستمع إليك}...

هنا صنف جديد {الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا}[الأنعام ٦٨] هؤلاء **ناس متمرسة في الاستهزاء، والسخرية من أهل الدين**، ومن آيات الله عز وجل {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا}[الأنعام ٦٨]. الخوض أصلًا في اللغة: هو المشي في غمرات الماء، أن تسير في الماء، وأنت لا ترى، فتسير بصعوبة، فتجد نفسك تصطدم، أنت تسير ولا ترى ما الذي يحدث في الأسفل، إذًا الخوض في شيء، إما السير فيه بتكلف وصعوبة أو السير دون أن ترى.

فدائمًا الخوض في أغلب الاستعمال القرآني يأتي مع الذي يتكلم بدون علم، يتكلم في أشياء لا يفقه فيها شيء -في الغالب- {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا}[الأنعام ٦٨] كل غرضه أن يثبت أن آيات الله ليست بآيات؛ لأنه طوال السورة هم يريدون آية، {لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ}[الأنعام ٣٧]، أنزل لنا ملكًا، أنزل لنا آية. فربنا يوضح ويفصل آيات القرآن، فماذا يفعلوا؟ يخوضون في الآيات؛ حتى يثبتوا أنها ليست بآية.

كقول الله عز وجل {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ}[سبأ ٥] أي يريدون أن يثبتوا عجز الآيات، تأتي له بآية من القرآن، يقول لك هذه الآية عاجزة عن التطبيق في الوقت المعاصر، القرآن لا يصلح للتطبيق المعاصر، أنت كلما تأتي له بآية يريد أن يثبت أنها ليست آية {إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا}[يونس ٢١].

انتبه! {سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ}[سبأ ٥] {إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا}[يونس ٢١] {يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا}[الأنعام ٦٨]؛ لأن الآيات واضحة هم يريدون أن يصرفوا الناس عن اتباع الآيات.

{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا}[الأنعام ٦٨] هذا كأنه مجلس الصحابة. يا إخوة الصحابة عندما كانوا يعيشون في مكة، تقريبًا مثلًا ربع أو ثلث المجتمع كان مسلم، لكنه كان مجتمعا مختلطا بين المؤمنين والكفار.. أي ليس كالمدينة التي كان فيها مجتمع مسلم ومجتمع مشرك، ويوجد بجانبهم قبيلة من اليهود...أما في مكة فالمجتمع كله كان كافرًا ثم ابن هذا أسلم، ومولى هذا، والأمة هذه أسلمت ، وأبو فلان أسلم لكن ابنه لا، وابن فلان أسلم لكن أبوه لا، فكانت المجالس الأسرية تحوي مجموعة من المشركين والمؤمنين.

فكان طبيعيًا أن يكون هناك جلسات يوجد فيها مسلمين ومشركين طبيعي، كشيء اجتماعي. إضافة لمجالس المسلمين مع المشركين لدعوتهم، فكان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين يجلسون جلسات مع المشركين، ويكلموهم في الدين. فكان هناك نوعان من المجالس في مكة:

إما النبي صلى الله عليه و سلم متعمدًا أو الصحابة متعمدين يذهبون إلى مجلس للكفار، يذهبون إلى ناديهم {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ}[العلق ١٧] ناديهم الذي يجتمعون فيه، يذهبوا إلى مجالسهم واجتماعاتهم ، النبي صلى الله عليه وسلم كان يغشاهم في مجالسهم –سواء في مكة، أو في المدينة–، ويبدأ يحدثهم عن الدين، فأحيانًا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدثهم عن الدين، أو الصحابة وهم يحدثونهم عن الدين يسخرون من الدين، ويخوضون في الآيات.

##أو مجالس اجتماعية أسرية، تجمع بين الأقارب والأرحام، هم أصلًا مضطرين لحضورها، فيحدث أن يُستهزئ بالآيات.

ربنا قال هنا عندما يحدث أن تجلس في مجلس سواء للدعوة، أو جمعك به الأقدار، أو الاجتماعيات التي أنت مضطر لها، ويحدث خوض في آيات الله واستهزاء.. قم وانصرف من المجلس{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا **فَأَعْرِضْ** عَنْهُمْ}[الأنعام ٦٨] الإعراض أي أن تقوم وتذهب.

إذًا حكم وجودك في مكان سواء جمعتك به أقدار ربنا سبحانه وتعالى، أو العلاقات الاجتماعية، أو تقصده للدعوة –أنت الذي ذهبت متعمدًا– أيًا كان {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا}[الأنعام ٦٨] إذا حدث خوض في الآيات، استهزاء بآيات الدين... قم {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}[الأنعام ٦٨] انتبه أيضًا من كلمة {يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}[الأنعام ٦٨] كأن غالب كلام أهل الشرك خوض، لكن خوض عن خوض يفرق، فأي خوض في مواضيع غير آيات الله يمكنك أن تبقى جالسا معه سواء مجلس اجتماعي، أو أنت تدعو إلى الله عز وجل.

{حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[الأنعام ٦٨]

هذه الآية مع الآية التي تليها بها كثير من التفصيلات خاصة، أن الإنسان قد يتعرض لموقف مثل هذا، أن يجلس مع ناس ويحدث استهزاء بالدين.

بعض العلماء قال: "هذه الآية خاصة بالنبي صلى الله عليه و سلم وجوبًا وإلزامًا خاصًا بالنبي صلى الله عليه وسلم واستحبابًا لبقية المسلمين" لأنه عندما يقوم النبي صلى الله عليه و سلم من المجلس، هم أصلًا يستهزئوا لأن النبي موجود، وعندما يقوم يكفون.. عندما يقوم صلى الله عليه وسلم يكفون عن الاستهزاء، فكان قيام النبي صلى الله عليه وسلم أكثر ردعًا لهم.

الآيات التي سوف تأتي آية [٦٨و ٦٩و٧٠ و ٧١] الأربع آيات كأنهم يتكلمون أن هناك أربع أصناف من أفراد المجتمع موجودين، مَنْ هم؟

*النبي صلى الله عليه وسلم موجود ومعه المؤمنين الأقوياء هذا صنف،

*ويوجد مؤمنون ضعفاء ممكن يُلبس عليهم أمر الدين،

*ويوجد كفار يخوضون في الآيات، وهم السادة المتبوعون،

*ويوجد مشركون من الأتباع السُذج الذين يسمعون كلام أي شخص.

هؤلاء أربع أصناف من الناس موجودون في المجتمع... أي لدينا صنفين من المؤمنين وصنفين من المشركين، كل صنف فيه الأقوياء والضعفاء واضح هكذا التقسيمة؟

الأربع آيات ستتكلم عن الأربع أصناف هؤلاء لتخبرنا بما يحدث.

المشركين، السادة، المتبوعون يستغلوا وجود المؤمنين الضعفاء- في دينهم -، والمشركين الضعفاء -في عقولهم- ويستغلوا وجود النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الأقوياء ويبدأ يهزأ من الدين. هو يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الأقوياء لن يتأثروا، هو يقصد أن يخدع مَنْ؟ الضعفاء، فيزيد المشرك التابع الضعيف ثباتًا على ضلاله- لأن هو أصلًا تابع-، ويقصد أن يفتن المؤمنين الذين ربما يكون لديهم ضعف في الإيمان، هو يعلم بحالهم مسبقا.

فالنبي عليه الصلاة والسلام هنا **أُمر** أنه لا يظل جالسًا في هذا المجلس؛ لأن وجوده في المجلس يعتبر إقرار لهذا الكلام؛ فحتى لو أنك لن تُفتن، أنت ستَفتن هذين الصنفين من الناس، إذًا أول حكم من الآية:

لا بد للداعية أن يفهم تبعات جلوسه مع شخص معين ويُعرض المجلس على الناس.

ما إسقاط هذا الكلام على الواقع؟

أنا أريدك أن تتخيل النبي صلى الله عليه وسلم مثلًا بعث سيدنا خالد بن الوليد في غزوة من الغزوات، فسيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه أخطأ، ذهب لقوم يغزوهم، هؤلاء القوم قالوا: صبئنا صبئنا، يريدون أن يقولوا: أسلمنا أسلمنا، فقالوا: صبئنا- أي تركنا ديننا وأسلمنا-، فخالد بن الوليد رضي الله عنه قتلهم، اعتقد أنهم يصرون على الكفر واختلف معه بعض الصحابة وحدث بينهم خلافات وأسر منهم أُناس، ورجع فالنبي صلى الله عليه وسلم غضب وقال "اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد"[١] ودفع دية الناس الذين قتلوا؛ لأنهم أصبحوا مسلمين.

خطأ من أخطاء المجاهدين، مثل خطأ من أخطاء الدعاة، مثل خطأ من أخطاء العاملين للدين... وارد، والخطأ هنا ليس كأي خطأ، كان الخطأ قتل.

النبي -صلى الله عليه وسلم- قام بشيئين، **تبرأ من الفعلة**، ليس معنى أنه معي أن أنسبها للدين، لا.. أتبرأ من الفعلة وأتحمل أخطاءها في نفس الوقت، ولا أتبرأ من الشخص. الشاهد؛ تخيل معي لو مسجد الضرار عندما بُني جاءت دعوة للنبي -صلى الله عليه وسلم- أن يعطي محاضرة في مسجد الضرار عن"أخطاء المجاهدين"، بعد موقف سيدنا خالد، مؤكد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سيتكلم عن هذا الخطأ، إنما النقطة الهامة أين يتكلم عنه؟ هل يتكلم عنه في مسجد الضرار؟! أنت عندما تتكلم عنه في مسجد الضرار، أصلًا مسجد الضرار ينكر الجهاد في سبيل الله، وجودك هناك وكلامك عن أخطاء المجاهدين فيه يظهر وكأنك تقر إنكار أهل هذا المسجد للجهاد.

مثال ثانٍ: شخص شيعي استضافك في برنامجه لكي تتكلم عن الداعية فلان الفلاني الذي يأتي أحيانًا بأحاديث ضعيفة، فأنت تظهر مع الشيعي تنتقد الداعية الذي يأتي بأحاديث ضعيفة!. أنت تظهر مع منكر للسنة الواردة- الشيعي- لكي تنتقد خطأ للتعامل مع السنة!! هل تفهمون الإشكالية؟ فأحيانًا ظهورك مع شخص أو جلوسك في مجلس يفتن أناسًا حتى لو أنك-شخصيا- لن تتأثر .

---

[١] [عن عبدالله بن عمر:] بَعَثَ النبيُّ ﷺ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ إلى بَنِي جَذِيمَةَ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أنْ يقولوا أسْلَمْنا، فَقالوا: صَبَأْنا صَبَأْنا، فَجَعَلَ خالِدٌ يَقْتُلُ ويَأْسِرُ، ودَفَعَ إلى كُلِّ رَجُلٍ مِنّا أسِيرَهُ، فأمَرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنّا أنْ يَقْتُلَ أسِيرَهُ، فَقُلْتُ: واللَّهِ لا أقْتُلُ أسِيرِي، ولا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِن أصْحابِي أسِيرَهُ، فَذَكَرْنا ذلكَ للنبيِّ ﷺ فَقالَ: اللَّهُمَّ إنِّي أبْرَأُ إلَيْكَ ممّا صَنَعَ خالِدُ بنُ الوَلِيدِ مَرَّتَيْنِ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٧١٨٩ • [صحيح]

إذا كان هنا الخطاب للنبي -صلى الله عليه وسلم- فربنا يحذر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يبقى متواجدًا في مثل هذا المجلس حتى لو النبي -صلى الله عليه وسلم- يريد دعوتهم، طالما بدأوا يخوضون في الآيات ويستهزئون، يجب على النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يقوم؛ لأنه حتى إن لم يُفتن، وحتى لو كان يريد دعوتهم فجلوسه سيفتن الصنفين الذين تكلمنا عنهم...واضح؟

هذا هو المعنى الأول أو الحكم الأول المهم من الآية: **عندما يحصل استهزاء فعليك أن تقوم.**

شخص يقول ولماذا أقوم؟ هناك اقتراح آخر؟

"أحد الحضور :أذكر الله...هذا اقتراح ثالث"، أن أظل جالسا أذكر الله حتى لو لم أستطع الرد أظل أنكر بقلبي، هذا الاقتراح كان مسموحًا به **للمضطر في مكة فقط** -على قول بعض أهل العلم- ثم نُسخ في المدينة في قول الله -عز وجل- آية الأنعام {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ}[النساء ١٤٠] بعضهم قال هذا، والدليل على هذا القول أن بعضهم قال {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ} أي المتقي من داخله {مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} لن يناله الإثم {وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ} دوره فقط أن يُذكره {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}[الأنعام ٦٩] لو لم يستطع أن يترك المجلس.

لكن الأصل أن يقوم؛ لذلك المنكر إما أن تغيره أو تذهب عنه... ولكي تحفظها "إما أن تغيره أو- بالعامية- تغور عنه" أي تغيره أو تتركه.

لذلك شيء عجيب جدًا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول (مَن رَأى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ)[٢]

كيف يغير المنكر بقلبه؟ كلمة يغيره بقلبه: أي سيحدث بداخلك تغيير، يجب أن تعرف أنك عندما ترى منكرًا فهناك تغيير من اثنين يحدث لك، إما أن ترضى فينكت في قلبك نكتة سوداء مباشرة، وإما أن

[٢] [عن أبي سعيد الخدري:] أَوَّلُ مَن بَدَأَ بالخُطْبَةِ يَومَ العِيدِ قَبْلَ الصَّلاةِ مَرْوانُ. فَقامَ إلَيْهِ رَجُلٌ، فقالَ: الصَّلاةُ قَبْلَ الخُطْبَةِ، فقالَ: قدْ تُرِكَ ما هُنالِكَ، فقالَ أبو سَعِيدٍ: أمّا هذا فقَدْ قَضى ما عليه سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: مَن رَأى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٤٩ • [صحيح]

تشعر بحزن وضيق وتعتصر فينكت في قلبك نكتة بيضاء مباشرة، حتى تصير القلوب على قلبين أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة، والثاني أسود مربادًا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا.

لذلك كثرة رؤية المنكرات حتى لو لم يفعلها، كثرة رؤية المنكرات بدون الإنكار القلبي (وذلكَ أَضْعَفُ الإيمانِ) ينكت نقط سوداء كثيرة تجعله بعد ذلك يفعل هو المنكرات، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال السلسلة التي تحدث:

(تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، "النكتة السوداء تقوم بعمل نكت سوداء أخرى"، فلاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ)[٣]، هو وصل لهذه المرحلة؛ لأنه كان يرى ويسكت ولا حتى ينكر بقلبه "أضعف الإيمان" .

فلذلك مجلس فيه استهزاء بالدين، أنت يجب أن تغير باليد، وإن لم تستطع فباللسان، الأصل أن تبتعد، فإن لم تستطع فبقلبك أي تعتصر من داخلك، وذلك أضعف الإيمان.

هناك "حل ثالث" وقلنا هذا الحل ليس مطروحًا إلا في وقت الاستضعاف فقط وهو أن **تبقى وتذكر الله** ؛ لذلك قالوا مجالسة الملحدين أو أهل اللغو والفساق عندما يخوضون في الآيات ويستهزئون أو يأتون بالمعاصي، الأصل أن تقوم ولا تمكث. لكن مثلًا لو أنك راكب حافلة وهناك أفلام فيها استهزاء بالآيات وفيها معاصٍ، وأنت على طريق صحراوي، ونصحت السائق وطلبت منه أن يوقف عرض الفيلم، وهو لا يستجيب، فأنت هنا مضطر، تخاف أن تنزل فتهلك، فأنت تُنكر، أنكرت باللسان دون

[٣] [عن حذيفة بن اليمان:] كُنا عِنْدَ عُمَرَ، فقالَ: أيُّكُمْ سَمِعَ رَسولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الفِتَنَ؟ فقالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْناهُ، فقالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ في أهْلِهِ وجارِهِ؟ قالوا: أجَلْ، قالَ: تِلكَ تُكَفِّرُها الصَّلاةُ والصِّيامُ والصَّدَقَةُ، ولَكِنْ أيُّكُمْ سَمِعَ النبيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتي تَمُوجُ مَوْجَ البَحْرِ؟ قالَ حُذَيْفَةُ: فأسْكَتَ القَوْمُ، فَقُلْتُ: أنا، قالَ: أنْتَ لِلَّهِ أبُوكَ. قالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: تُعْرَضُ الفِتَنُ على القُلُوبِ كالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتَّى تَصِيرَ على قَلْبَيْنِ، على أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ. قالَ حُذَيْفَةُ: وحَدَّثْتُهُ، أنَّ بيْنَكَ وبيْنَها بابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أنْ يُكْسَرَ، قالَ عُمَرُ: أكْسْرًا لا أبا لَكَ؟ فلوْ أنَّه فُتِحَ لَعَلَّهُ كانَ يُعادُ، قُلْتُ: لا بَلْ يُكْسَرُ، وحَدَّثْتُهُ أنَّ ذلكَ البابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ، أوْ يَمُوتُ حَدِيثًا ليسَ بالأغالِيطِ. قالَ أبو خالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يا أبا مالِكٍ، ما أسْوَدُ مُرْبادٍّ؟ قالَ: شِدَّةُ البَياضِ في سَوادٍ، قالَ: قُلْتُ: فَما الكُوزُ مُجَخِّيًا؟ قالَ: مَنْكُوسًا. وفي روايةٍ: لَمّا قَدِمَ حُذَيْفَةُ مِن عِندِ عُمَرَ جَلَسَ، فَحَدَّثَنا، فقالَ: إنَّ أمِيرَ المُؤْمِنِينَ أمْسِ لَمّا جَلَسْتُ إلَيْهِ سَألَ أصْحابَهُ، أيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسولِ اللهِ ﷺ في الفِتَنِ؟ وساقَ الحَدِيثَ بمِثْلِ حَدِيثِ أبِي خالِدٍ، ولَمْ يَذْكُرْ تَفْسِيرَ أبِي مالِكٍ لِقَوْلِهِ: مُرْبادًّا مُجَخِّيًا. وفي روايةٍ: أنَّ عُمَرَ قالَ: مَن يُحَدِّثُنا، أوْ قالَ: أيُّكُمْ يُحَدِّثُنا -وفيهِم حُذَيْفَةُ- ما قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ في الفِتْنَةِ؟ قالَ حُذَيْفَةُ: أنا، وساقَ الحَدِيثَ كَنَحْوِ حَدِيثِ أبِي مالِكٍ، عن رِبْعِيٍّ، وقالَ في الحَدِيثِ: قالَ حُذَيْفَةُ: حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا ليسَ بالأغالِيطِ، وقالَ: يَعْنِي أنَّه عن رَسولِ اللهِ ﷺ.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٤٤ • [صحيح]

جدوى، هنا تجلس وتظل تذكر الله –عزوجل– منكرا بقلبك، فلا تتابع وتشاهد وتقول: ماذا أفعل؟ أنا فعلت ما بوسعي ثم تشاهد!، لا...–الميتة لا يصلح أن تضع عليها كاتشب– الضرورة تقدر بقدرها.

فالشاهد، "الاختيار الثاني" أن يقول شخص: أنا ممكن أن أرد عليه، هو يخوض في الآيات، فأنا أقوم وأرد عليه، الذي يخوض في الآيات لا يصلح معه الرد؛ لذلك ربنا سبحانه وتعالى. يقول {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ}[الزخرف ٥٧-٥٩].

{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا}[الزخرف ٥٧] الذي ضرب المثل أحد المشركين الذاهبين للنبي –صلى الله عليه وسلم–،أي يقولون له مثلما يعبد النصارى عيسى نحن نعبد آلهتنا، أيًا كان المثل.. فالعجيب في الآية أن الله لم يذكر من الذي ضرب المثل، وما هو المثل، وما الغرض، لأن كل هذا ليس مهمًا، ربنا قال {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا **جَدَلًا**}[الزخرف ٥٨].

{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ **يَصِدُّونَ**}[الزخرف ٥٧] ماذا تعني **يَصِدُّونَ** هنا؟ بقراءة كسر الصاد، يصِدون هنا قالوا ليس معناها: يصُدون الناس، وإنما يصِدون: من التصدية، أي يصفق ويعمل جلبة. فهو يريد أن يضرب لك مثلًا، إذا أردت أن ترد فيقوم بعمل صخب، ويطلع فاصل إعلاني ثم اتصال، ويخبرك بأنه سيرد عليك ثم يعتذر لأن الحلقة انتهت ونكمل الحلقة القادمة؛ لأن ليس غرضه أصلًا البحث عن الحق، إنما غرضه أن يعمل جلبة وتعتيم على الحق، هو قال المثل ليجادل ويعمل جلبة و يظهرك في نهاية الأمر مغلوبًا.

إذًا ليس الحل أن ترد على المثل؛ لذلك ربنا لم يرد ربنا على المثل... ولكن أصَّل بنقطتين عن سيدنا عيسى غير التي ضربوها، قال تعالى { إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ}[الزخرف ٥٩] {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ}[الزخرف ٦١]، فقال لهم: لو أردتم أن تتكلموا عن سيدنا عيسى، فلن آتي لمجلس يذكر فيه سيدنا عيسى إلا عندما يكون الكلام في نقطتين، إما سنتكلم عليه كآية لبني اسرائيل لتحولهم من اليهودية إلى اتباع دين المسيح عليه السلام–لما كان هو الدين الحق– أو بالنسبة لكم هو علامة على الساعة، وأنتم يجب أن تخافوا من الدار الآخرة، أي أنه سينزل في آخر الزمان أو أيًا كان، **فأنا الذي أحدد ولست أنت من تقودني**. لأنه هو دائمًا يأتي لك بشبهة، فإذا أردت أن ترد عليه يقوم بفتح باب شبهة أخرى، هذا شخص يستهزئ، يخوض في الآيات، ليس غرضه البحث عن الحق، إنما

غرضه فتنة الناس...فحتى لو أنت عالم ولن تفتن احذر أن تجلس في هذا المجلس؛ لأن وجودك في هذا المجلس سيفتن أناسًا آخرين، فانتبه!

لذلك {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ}[الأنعام ٦٨] حتى يتكلم في موضوع آخر، أو أنك في جلسة اجتماعية أو ما شابه ومضطر للجلوس{حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ}[الأنعام ٦٨] أحيانًا الداعية يُؤتى من عدم فهمه للأجواء المحيطة للجلسة، أحيانًا داعية تطلبه قناة للقاء معين سيتكلم في الدين، يجب أن يعرف هذه القناة مثل مسجد الضرار، يعني مبنية لأي سبب؟ {مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ۚ}[التوبه ١٠٧] هذه القناة مالكها نصراني، ينفق عليها ليصد عن دين الله، ٩٠% من برامجها للصد عن الدين، فأنا أعلم توجه القناة، يجب أن أكون محيطًا بالأجواء التي سأتكلم فيها، ثم أسأل ما موضوع الكلام؟...مثلا عندما تأتي قناة مثل هذه، ويقال لك موضوع الكلام: أخطاء بعض الدعاة، فلا أذهب؛ لأنه حق يراد به باطل، لا أتكلم عن أخطاء بعض الدعاة هناك، لأن هو أصلًا يريد أن يهدم الدعاة، وجاء بي ليستخدمني في الهدم، فأنا يجب أن أفهم الأجواء المحيطة؛ لذلك هناك كلمة جميلة للشيخ الطريفي، مقطع اسمه "ضوابط ظهور العلماء في قنوات السوء" يجب أن يكون هناك ضوابط، لا بمجرد أن يقال لي: تعال، أذهب... قد يطلب منك تعال لتتكلم عن الأخلاق، كيف وقبلي فيلم وبعدي فيلم؟! بهذا أنا أقر ما يحدث. فإما أن تنكر أصل ما قامت عليه القناة، أو أنك لا تعطيهم الغرض الذي يريدونه منك أيًا كان، يجب أن يكون الإنسان على حذر؛ لأنه قد يفتن الناس بعمله هذا.

حتى في الدعوة إلى الله؛ لماذا يقول ربنا للنبي -صلى الله عليه وسلم- اهدم مسجد الضرار، هذا وهو مسجد، فما بالك بقناة، هذا مسجد لكن أرادوا النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يصلي فيه لأغراض خبيثة. فأحيانًا يكون برنامجًا دينيًا وسؤالًا دينيًا لكنه ذو غرض خبيث والقرائن واضحة، القرائن لا تحتاج توضيحًا.

مثلا برنامج يُبث منذ عشر سنين ولا توجد حلقة عن الدين، فجأة يريدون أن يستضيفوا الشيخ الفلاني لكي يتكلم عن أخطاء العاملين للدين، فجأة تابوا إلى الله! عندما يبدأ ينشر الدين يبدأ بالأخطاء! أنا لا يجب أن أُستدرج، وأذهب للقاء يظل يتكلم عن أخطاء الدعاة، هو هنا يفرق بين المؤمنين؛ لذلك لو

أردت توضيح خطأ أقول{قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} هو أخطأ-أي العامل لدين الله -لكن تعال لنرى ماذا فعلت أنت منذ عشر سنين {وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ}[البقره ٢١٧] انت منذ عشر سنين تشكك في السُّنة، وتشكك أن الإسلام هو الدين الحق، وعملت كذا يوم كذا، وعملت كذا في حلقة كذا، فهو أخطأ نعم، ولكن يجب أن تطرح الموضوع على بعضه، أخطر شيء يصرف الناس عن الدين الطرح الجزئي للدين.. واضح؟

{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[الأنعام ٦٨] ما الذي يجعل داعية ينسى في مجلس وهم يخوضون في آيات الله؟!

#ما أسباب النسيان التي ممكن أن يحدث؟

لماذا يريد الشيطان أن ينسيه هنا؟!

عندما يقول ربنا في قصة موسى والخضر {وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ}[الكهف ٦٣] لماذا الشيطان كان حريصًا أن يُنسي يوشع بن نون المكان الذي قاله له سيدنا موسى؟! والحوت أمره واضح، أعني جريان الحوت وقفزه في البحر وهو ميت ويسبح {فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا}[الكهف ٦١] {وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا}[الكهف ٦٣]، كيف ينسى يوشع علامة مثل هذه؟! الشيطان كان منتبهًا لأن ينسيه هذه اللقطة، لأنه يعرف أن لقاء موسى مع الخضر فيه طلب للعلم، وأن الإنسان كلما ازداد طلبًا للعلم ازداد قربه من الله -عز وجل-، فالشيطان عندما ينسيك شيئًا معينًا فهو يعلم أن هذا الشيء يقربك من ربنا.

فلماذا الشيطان حريص على أن يُنسي الداعية الأحوال المحيطة في المجلس الجالس فيه؟ إنهم يخوضون في آيات الله فلماذا يُنسيه أن يقوم؟! لأن ذلك يخدم مصالح الشيطان، داعية جالس في مكان دعوة والشيطان يُنسيه أن يقوم لأن بقاءه فتنة، فتنة لضعفاء المؤمنين أو للتابعين من المشركين.. إذًا يجب أن يبقى الداعية على حذر.

قلنا لماذا يُنسيه الشيطان؟ لأن هذا يخدم أغراض الشيطان، لكن لماذا ينسى الداعية؟

إما أنه شعر بالخجل، فلم يقم حفاظًا على مظهره الشخصي، أو سيُهدد إذا قام- لأنك أخذت موقفًا غير موقفنا، فسنضغط عليك أمنيًا-،أو من شدة حرصه على الدعوة وهذه التي تكلمنا فيها {مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ}[الحج ٥٢] من شدة حرصه لا يستطيع أن يقوم، خائف عليهم.

لكن الموقف الصحيح في كل هذا **أن يقوم**، أو شهوة الجدال، يريد أن ينتصر عليهم، ولكن هنا ليس الحل أن تفوز عليهم، لأنه ليست الاستفادة هنا أن تفوز، فهو أصلًا كله خوض، يعني لو أنكم انتهيتم بنتيجة أنك كسبت، **النتيجة الحقيقية أن الناس فُتنت في الدين أصلًا**، يعني لو أتى لك بثلاث شبهات وأنت رديت على اثنين فالناس فُتنت بذلك لأن صاحب البرنامج لايبحث عن الحق... واضح؟

{وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[الأنعام ٦٨] فهناك فارق عندما نقول مثلًا -لكي نلتمس عذرًا- مثلًا داعية جلس في مجلس فيه خوض في آيات الله، فنفرق بين المرة العابرة التي لم يكن يعرف فيها الأحوال وتم التغرير به، والمؤمن قد يخدع، وبين شخص يخرج في سلسلة حلقات مع شخص معين. يجب أن نفرق بين شخص غُرر به وطُلب لبرنامج معين وهو لا يعرف -مع أنه مقصر أيضا في عدم التحري- فلا يعرف مثلًا توجه القناة ولا يعرف مقدم البرنامج، لم يكن يعرف كل هذا، وهو مقصر في ذلك كما قلنا، فيجب أن يكون الداعية حذرًا... لكن ممكن أن يتم التغرير به مرة، وحصل خوض في الآيات ولم يستطع أن يرد. إنما أن يتكرر معه هذا الأمر؛ فلا. لذلك ربنا قال {فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} بمعنى ممكن أن تُخطئ مرة، لكن لا يكون كل مرة {فَلَا تَقْعُدْ **بَعْدَ الذِّكْرَىٰ** مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[الأنعام ٦٨].

{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}[الأنعام ٦٩] هذه الآية لها أكثر من توجيه:

التوجيه الأول: قلنا أن الآية الأولى خاصة بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- ليس مستثنى من العذر، ليس معذورًا حتى لو هناك اضطرار، حتى لو هناك إكراه حتى لو هناك استضعاف، النبي -صلى الله عليه وسلم- مطالب أن يقوم والباقي {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ}[الأنعام ٦٩] لذلك الآية الأولى ايه ٦٨ جاءت بالمفرد {وَإِذَا رَأَيْتَ} أنت كفرد { الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ} أنت فقط {فَلَا تَقْعُدْ} كلها مفرد، ولكن كيف جاءت الآية التي تليها ايه

٦٩ ؟ بالجمع {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ}، بقية المؤمنين لو كانوا مضطرين للجلوس، لا يستطيع أن يقوم؛ للاضطرار أو الاستضعاف أو للإكراه، لأسباب شرعية أيضًا ليس لهوى في نفسه بل لأسباب شرعية، لا يستطيع أن يقوم، فهو طالما أنه متقي الله -سبحانه وتعالى- وذكرهم مرة قبل ذلك فلا بأس {وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}[الأنعام ٦٩]، وقلنا هذا الأمر بالنسبة لبقية المؤمنين نُسخ بعد التمكين، فيكون على حسب الاستضعاف والتمكين. هذا هو التوجيه الأول.

إذاً بعض المؤمنين قد يُعذر، لكن رؤوس الإيمان لا يُعذرون، رؤوس الدعاة إلى الله مثل الإمام أحمد بن حنبل، هذا لا يعذر أن يجلس في مجلس مثل هذا؛ لأن هذا فتنته فتنة لأمة كاملة فيجب أن يقوم هنا من هذا المجلس {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}[الأنعام ٦٨]

التوجيه الثاني: هناك معنى ثانٍ {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ}[الأنعام ٦٩] أي ليس على الذين يتقون {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ} ليس على المؤمنين الذهاب ليحاسبوا المشركين، ويجعلوهم يتوقفون عن هذا الخوض بالقوة؛ لأنه ليس لدينا القوة... ولكن الواجب علينا -كمؤمنين- عندما نقوم أن نُذكر المشركين فلعل تذكيرنا لهم يجعلهم يتقون {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}[الأنعام ٦٩] أي ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون.

التوجيه الثالث: هناك معنى جميل جدًا- المعنى الثالث- ذكره الإمام القاسمي في الآية يقول {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ}[الأنعام ٦٩] أي أن المتقين عندما قاموا، لم يقوموا لأجل المشركين ولكن قاموا ذكرى- أي تذكير- للمستضعفين المؤمنين الذين لو رأوهم جالسين في المجلس سيُفتنون، فيكون معنى ثالث لآية {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ} أي ما على الذين يتقون من حساب المشركين من شيء، ولكن ذكرى لمن؟ لأهل الإيمان المستضعفين... أي أنه قام من المجلس لكي يُذكِر المستضعفين الموجودين في المجلس؛ لكي لا يُغرر بهم، فمن قام -من المتقين الأقوياء -لن يُغرر به ولن يتأثر بخوضهم ولن يحمل ذنبًا، ولكن هو قام من أجل تذكير أهل الإيمان المستضعفين.

{وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} نكرر مرة أخرى، هناك ٣ أقوال في كلمة {وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ} ذكرى لمن؟

##القول الأول :ذكرى لأهل الشرك، عليك أن تذكرهم.

##القول الثاني: ذكرى للمؤمنين المستضعفين.

لذلك من الجميل في سياق الآيات أن يقول ربنا بعد ذلك {قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ}[الأنعام ٧١] هذه محاولة للإيقاع في الضلال –سنأتي لهذه الآية لاحقاً– بمعنى أن هناك محاولة من الشياطين –سواء شياطين الإنس أو الجن– يريدون أن يوقعوا أحد الناس في الضلال، وهناك أناس آخرون يقولون له: تعال إلى الهدى {ائْتِنَا}[الأنعام ٧١] هذا تصوير للذي يحدث في مجالس "الذين يخوضون في آياتنا".

إذًا قلنا أن المجلس فيه أربعة أركان:

١– ركن يخوضون في الآيات، رؤساء المشركين الذين يخوضون في الآيات.

٢– ركن المؤمنين الأقوياء الذي لا يتأثر بالشبهات، لكن وجوده ممكن أن يكون فتنة لغيره من الضعفاء.

٣– ركن المستضعفين المشركين، الذي كل همه في حياته أن يظل تابعًا دنيويًا فقط، وهؤلاء ربنا يقول عنهم بعد ذلك {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}[الأنعام ٧٠] أي أن تذكيرك لهم لن يُجدي، قم واتركهم، حتى لو سيفتنوا فقم ؛ لأنه أصلًا من البداية يبحث عن اللعب واللهو، إنما وأنت تقوم عليك أن تذكر من؟ المؤمنين الضعفاء.

٤– المؤمنين الضعفاء– ليس لديهم علم كاف – الذين من الممكن أن يفتنوا بما في هذه المجالس من خوض.

الأربع آيات تتكلم عن هذه الأربع طوائف، هذا المشهد ممكن أن يحدث في أي مجلس، أناس تفتِن عندها القدرة على بث الشبهات وتخوض في آيات الله، ومؤمنون أقوياء وأتباع للمشركين، وضعفاء من أهل الإيمان ليس عندهم علم، أنت– كداعية او من أهل العلم –تقوم لكي لا تفتن هذه الفئة من المؤمنين، حتى لا تُقر المشركين على استهزائهم وخوضهم في آيات الله .

{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ}[الأنعام ٦٩] أي {وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ} يعني عليك ذكرى لمن؟ ليس للمشركين هنا.. عليك تذكير للمؤمنين ضعاف العلم تُفهمهم تقول لهم: لا

تجلس إلى هؤلاء، فأنت لا تملك العلم الكافي والقدرة لكي ترد على شبهات هؤلاء، لا تقعد معهم، لا تدخل معهم في مناظرات لا تناقشهم، هذا دور أهل العلم لأن الإنسان قد يفتن. وكثير من الشباب تنصحه دون فائدة، يدخل على منتديات للنصارى والشيعة ويرجع عنده شبهة تقلب له فكره وعقله.

وجود أقوياء المؤمنين- أهل العلم أو الدعاة- في هذه المنتديات بدون إنكار لما يقال يكون فتنة لضعاف المؤمنين ؛ لأنه يتجرأ على الدخول والتواجد في هذه المجالس... فأنت تفهمه وتنصحه وتصرح أن هذا شيء خاص بك أنت وأن هناك شروطًا للتواجد في مثل هذا المكان وهذه المنتديات...حتى لا يفتن ضعاف المؤمنين.

{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}[الأنعام ٦٩]

##القول الثالث {وَلَكِن ذِكْرَىٰ} أي ولكن إذا ذكرت أنت فقم، النبي صلى الله عليه وسلم مطالب أنه يقوم حتى لو هناك عذر للمؤمنين الضعفاء، أنهم يجلسوا، نحن قلنا لا يوجد عذر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يظل في المجلس. وإسقاطًا على واقعنا لا يوجد عذر لأئمة الدين والدعوة والعلماء أنهم يظلوا جالسين في أماكن مثل هذه؛ لأنه قد يفتن الناس.

إذًا يا إخوة –مرة أخري– كإسقاط على واقعنا، برنامج مشهور بالطعن في السنة أو الطعن في الدين أو الانتقاص من أهل الدين على مدار سنين، ثم دُعي أحد المشايخ للكلام في نقطة معينة في أخطاء يقع فيها أهل الدين مثلا، لا يصح أن يذهب؛ لأن ذهابه اقرار لهذا الباطل الذي يقدمه هذا البرنامج.
والمصيبة الأشد أنه ربما يذهب ثم يُثني على صاحب البرنامج. نحن قلنا من التدليس الذي يحدث ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، ماذا قال؟ (لا تقولوا للمنافق سيدنا)[٤] لا ينبغي على أحد أن يقول للمنافق أمام الناس أنت سيدنا، ولا حتى بعيدا عن الناس، لكن أمام الناس فتنة أشد، لماذا؟ (فإنه إن يكن سيدكم فقد أغضبتم الله ورسوله) لا ينبغي أن تقول له سيدنا؛ لأنك تفتن الناس، فذهابك، والثناء عليه أمام الناس، إقرار أنه على حق.

[٤] [عن بريدة بن الحصيب الأسلمي:] لا تقولوا للمنافقِ سيِّدنا فإنَّهُ إن يَك سيِّدَكم فقد أسخطتُم ربَّكم

عبد الحق الإشبيلي (ت ٥٨١)، الأحكام الصغرى ٨٢٠ • [أشار في المقدمة أنه صحيح الإسناد] • أخرجه أبو داود (٤٩٧٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٧٣)، وأحمد (٢٢٩٣٩) باختلاف يسير، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٠) واللفظ له.

تريد أن تقر موهبة عنده موجودة مع بيان ما فيه من باطل، هذا وارد، كان أحيانًا شيخ الإسلام ابن تيمية يرى شعرًا كفريًا مثلًا فيقول "هذا الشعر فيه صنعة شعرية قوية لأهل الشعر لكنه مليء بالكفر والضلال" في نفس السطر هذا أيضًا من باب الإنصاف، أن تكون منصف حتى مع العدو.

{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}[الأنعام ٦٩]

نأتي للصنف الذي يمزح ويصخب ويواكب أي شيء بغض النظر عن محتواه؛ أي شخص يخوض في الآيات، يأتي له بمسلسلات، يأتي له بأفلام عن الإلحاد، أفلام عن الشهوات، أفلام إباحية لا يوجد عنده مشكلة، هؤلاء قال الله فيهم {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا}[الأنعام ٧٠] فربنا يقول: هؤلاء اتركهم، أنت قد تقول: سأظل جالسًا لأجلهم، لا؛ بل أتركهم؛ لأن هؤلاء لن يستجيبوا في هذا الوضع، هذا يمكن أن تخوفه ولكن في مكان آخر {وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ}[الأنعام ٧٠] هذا تأخذه خارج المجلس وتخوفه بالعذاب، هذا يحتاج أن يُخوف بالعذاب- وسوف نتحدث عن ماذا تعني {أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ}[الأنعام ٧٠]لاحقا.

إذًا **الداعية لا بد أن يكون فقيهًا**؛ متى يتكلم ويدعو إلى الله، ومتى يعرض ويسكت...متى يقوم من المجلس؟ حتى لو يُستفز ويُهاجم ، فيقال له: أنت غُلبت وأنت لا تستطيع الرد!... يقول: لا، المجلس له شروط ستلتزم به أو أقوم.

لابد من جو صحي للبحث عن الحق، الجو الذي هو {**يصِدون**} أي الجلبة والصخب هذا ليس جو بحث عن الحق. فأنت خاسر خاسر في مثل هذه البرامج والمجالس. مثلًا مثل لعبة أنت تلعبها مع أهل الباطل لو كسبت أنت خسران، ولو خسرت أنت خسران مثل الديمقراطية. هناك لعب معينة هو الذي يملك القواعد والأدوات واللعبة كلها هو الذي وضعها، فهو صنع هذا النظام أنت كسبت خسران؛ لأنك لن تكسب إلا بالتنازل عن أصولك، وأنت خسارتك هي التنازل عن أصولك، خسرت لن تستطيع أن تطبق أصولك فأنت في كل الاحوال مع مثل هؤلاء أنت خاسر. هناك برامج لو استطعت أن ترد فأنت خاسر، ولو لم تستطع الرد فأنت خاسر أيضًا، فلا بد أن يكون الداعية فقيهًا متى يذهب ومتى لا يذهب؛ لأنه يفتن الناس، هو ممكن أن ينصرف معتقدًا أنه استطاع الرد، لكن في ثنايا الكلام كمية الشبهات التي طُرحت لا تساوي شيئًا في الشيء الذي قاله أصلًا.

ودائمًا أسلوب المناظرات مع أهل الباطل، أهل الباطل ماهي طريقتهم؟ عندما يطرح لا يطرح شبهة واحدة، يطرح عشر شبهات مرة واحدة، مثل الذي يدخل الانترنت ويفتح عشر صفحات مرة واحدة، هو مثلًا فتح عشر شبهات تحتاج منك سلسلة من الحلقات للرد، تحتاج منك سنة مثلًا لترد على هذه الشبهات، وكلما ترد يفتح لك شبهة ثانية، ترد على الثانية يفتح شبهة ثالثة، تعود للثانية يقول لك أنت تهرب من الإجابة على السؤال، طب ما أنا برد على الشبهة السابقة! وفي خلال كلامك يقول لك معنا اتصال فيكون شخص متفق معه أن يسبك، تأتي لترد على المتصل...إلخ... في النهاية لا فائدة، وغالبا هو لا يأتي بأي أحد، يأتي بشخص يعلم أنه يغضب سريعا مثلًا، فلا يعرف كيف يرد، أو شخص ضعيف علميا فيفتن الناس.

فلا بد للداعية أن يفهم ماذا تعني كلمة {**لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا**}[التوبه ١٠٨] هذا أمر مهم جدًا، ربنا يقول للنبي صلى الله عليه وسلم لا تقم في مسجد الضرار. فلا بد أن نفهم؛ إذا كان هناك مانع في القرآن من الإجابة على بعض تساؤلات المشركين، أو مانع من الاستجابة لطلبات المنافقين من القيام في مسجد، إذًا بالتأكيد هناك أشياء مثل هذا تحدث في واقعنا يجب أن نفقهها ولا نستجيب لمثل هذه الطلبات.

{وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا}[الأنعام ٧٠] ما معنى اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا؟ غريب جدًا هذا التعبير... قد يقال مثلا" اتخذوا حياتهم لعبًا ولهوًا"، إنما ما معنى أن دينه أصبح لعبا ولهوا؟! حتى الآية لا تقول "جعلوا حياتهم لعبًا ولهوًا"... لا، هو يُشعر نفسه أنه يمارس شعائر الدين، متدين ، ما الدين الذي يفعله إذًا؟

قبل الإسقاط على الواقع؛ المشركين ما الدين الذي كانوا يمارسونه؟ يذهب عند الأصنام يصفق ويصفر {إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً}[الأنفال ٣٥] عند الكعبة، بعض الحركات بحيث يشعر بالرضا النفسي، أنه بهذا يمارس شعائر الدين، وكل ما يفعله هو مجرد لعب ولهو. وفي واقعنا؛ تجده يذهب إلى الحسين ويتمسح، وبعدما ينتهي يجلس يشرب شيشة، دينه لعب ولهو، الطقوس التي يعملها، موالد، لعب ولهو، ما الذي يجعله هكذا؟! غرتهم الحياة الدنيا ف{اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا}[الأنعام ٧٠] جعل دينه عبارة عن لعب ولهو ثم تدين باللعب واللهو... انظر إلى المصيبة!!!

لذلك التطور الذي قاله ربنا في سورة الاعراف {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا}[الأعراف ٢٨] **أول شيء يفعله أن يقول على الفاحشة تقاليد**... فيتهمك!

أنت تريد أن تنكر تقاليدنا؟! هذه تقاليد وطنية، طوال عمرنا ونحن على هذا الحال، منذ خمسة آلاف سنة ونحن هكذا!!

تأتي تقول له: هذا الرقص حرام ... الفن!! أنت تتكلم عن الفن الذي نتوارثه جيلًا بعد جيل!!

تأتي تتكلم عن الأصنام والتماثيل... أنت تريد أن تنكر حضارة آلاف السنين !!

يضغط عليك بمسألة التقاليد "هذا ما وجدنا عليه آباءنا" تأتي ترد على مسألة الآباء يقول لك {وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا}[الأعراف ٢٨] ، والله أمرنا بها!!!.. هذه أصبحت دين، أي **تحولت الفاحشة لدين**، كانت فاحشة بدايةً، ثم أصبحت تقاليدًا، ثم أصبحت دينًا، أخطر مرحلة تحويل الفاحشة إلى دين، أنه يقول {وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا}[الأعراف ٢٨].

يأتي مثلًا للرقص فيقول لك (أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على قلب مسلم)[٥] أصبح دينا!

الربا مثلًا... يقول: استثمار لاقتصاد البلد، ونحن هكذا ننعش الاقتصاد و يجب علينا أن نشجع هذا!

إذًا هذه التحولات خطيرة جدًا تصد الناس عن سبيل الله.

{وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا}[الأنعام ٧٠] السبب أنهم غرتهم الحياة الدنيا، الدنيا غرتهم، لذلك كلامك في وسط هذه الأجواء لن تؤثر فيه، هذا يجب أن تكلمه بعيدًا عن هذا الواقع... {وَذَكِّرْ بِهِ} أي بالقرآن {أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ} أنت تأخذه وتخوفه من العذاب، تبسل: أي تحبس، تقول له هؤلاء الناس لن ينفعوك، أنت ستحبس في جهنم وحدك ولن ينفعك أحد.

{وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ}[الأنعام ٧٠] بسبب ما فعلت من اللعب واللهو والغرور بالحياة الدنيا، هذا الانطلاق الذي أنت منطلقًا به في الدنيا سينتهي بك إلى الحبس في جهنم –والعياذ بالله– {أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ}[الأنعام ٧٠] لن ينفعوك، الذين

---

[٥] [عن عبدالله بن عمر:] أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفَعُهُمْ لِلناسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، ولأنْ أَمْشِي مع أَخٍ لي في حاجَةٍ أحبُّ إلَيَّ من أنْ اعْتَكِفَ في هذا المسجدِ، يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا، ومَنْ كفَّ غضبَهُ سترَ اللهُ عَوْرَتَهُ، ومَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، ولَوْ شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أَمْضاهُ مَلأَ اللهُ قلبَهُ رَجاءً يومَ القيامةِ، ومَنْ مَشى مع أَخِيهِ في حاجَةٍ حتى تتَهَيَّأَ لهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يومَ تَزُولُ الأَقْدامِ، [وإنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ، كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ]

الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ٩٠٦ • صحيح • أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٠٢٦)، وأبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (٩٧) باختلاف يسير.

يخوضون في الآيات، هؤلاء لن ينفعوك حينئذ ولا أحد سيهتم بك {لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ}[الأنعام ٧٠]

{وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ}[الأنعام ٧٠] كانت كل حياته دنيا... فيقول خذ أموال واتركني، {تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ} أي تدفع فكاك رقبتها -عدل هنا ليست معناها تقول العدل-، {تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ} **أي تدفع ما يعدل رقبته**، كما يقال في الكفارة عِدْل رقبة، يريد أن يدفع عدل نفسه-ما يساوي فكاك نفسه من العذاب- {وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ} أي لو دفع كل الدنيا، هو معتقد دائمًا أن الأمور تسير بالأموال فعندما يُحشر في جهنم فيقول: أنا معي كذا من الأموال خذوه واتركوني!!! لا يوجد هذا الكلام {وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ **لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا** ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا}[الأنعام ٧٠] أولئك : أي الذين **غرتهم** الحياة الدنيا {لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ}[الأنعام ٧٠] التمتع ذهب {وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ}[الأنعام ٧٠]وبقي العذاب عياذا بالله.

{قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا}[الأنعام ٧١] من الذي يقول هذا الكلام هنا، هذا الخطاب على السياق الذي قلنا والتصور الذي قلناه، مَن هنا الذي يقول هذه الكلمة؟ مَن مِن المؤمنين؟ لا ليسوا الأقوياء... بل المؤمنين الضعفاء الذين كانوا يقصدون فتنتهم، فوقف يقول: لا لن أفتن، الشبهات التي تريد أن تفتني بها لن تؤثر في {أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا}[الأنعام ٧١] لا يمكن أن يحدث هذا أبدًا، وهناك منهم من يسقط، يرتد، هذا القرآن شبهه {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ}[الأنعام ٧١] قالوا هذا تشبيه للمرتد، إذًا فهناك ناس وقعت فعلًا.

ضعاف المؤمنين المقصود بهم الذين لا يمتلكون العلم الكافي مثل أقوياء الإيمان، ومثل العلماء، لكن هو أصلًا يتبع الدين ولما يوضع في فتنة يهرب ويلجأ إلى الله عز وجل، فلما وضع في الفتنة قال: لا لن أسقط في الفتنة {أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي}[الأنعام ٧١] الذي: أي أن هناك أصحابا له وقعوا في الفتنة {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ}[الأنعام ٧١] هذا المشهد {اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ}[الأنعام ٧١] كان يحصل عند العرب أن يُجنّ شخص ما، كانوا يقولون إن الجن أخذت عقله، فيذهب يعيش في الصحراء، يقولون عنه {اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ}[الأنعام ٧١] الجن أوقعته في الهاوية... استهوته اي أوقعته في الهاوية أو جعلته

يفعل كل ما يهوى الشيطان أو يهواه هو، أيًا كانت كل هذه التصريفات قيلت في {اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ}[الأنعام ٧١]

فالشاهد أن هذا مشهد منتزع من حياة العرب، كان يحدث أن شخصاً من القبيلة وقد يكون سيدًا في القبيلة وفجأة تجده يُجن، ويترك القبيلة، ويهيم على وجهه، ويعيش في الصحراء، وفي الغابات و يقولون عليه "توحش" أي يعيش مع الوحوش، ويترك الناس.

فالله شبه الذي يكون على طريق الحق ويضل بالذي فقد عقله، بالذي ذهب بعيدا لا يسمع كلام أحد، كالمجنون لا يفقه شيئًا، ولا يسمع شيئًا، هذا الذي ينتكس والعياذ بالله.

ثم أصبح **حيران**، كلمة حيران هذه تشخيص رائع من القرآن للذي يسمع للشبهات، فعلًا تجده يقول: أنا لم أعد أعرف الحق مع من، أنا لم أعد أعرف أسمع لمن، أرى هذه البرامج فأصدق هؤلاء، ثم أرى آخرين فأصدقهم، أنا لن أصدق لا هذا ولا ذاك، أنا لن أتبع أي شخص، تقول له: ربنا يقول كذا، يرد: أنا لم أعد أعرف من الذي يفسره صح... تقول له هذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم.. يقول: أنا لم أعد أعرف الأحاديث الصحيحة من الضعيفة!... أصبح لديه شك في كل شيء، فأصبح {حيران} والعياذ بالله.

{لَهُ أَصْحَابٌ}[الأنعام ٧١]إما أصحابه المؤمنون لا يريدون تركه {لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا}[الأنعام ٧١] الطبري رجح أن الذين يدعونه هنا هم الأصحاب المؤمنون.

بعض المفسرين قال:{لَهُ أَصْحَابٌ}أي أصحاب شياطين، مصممين ألا يبقي في مرحلة الحيرة أيضًا، لأنه يعتقد أنه لو بقي في مرحلة {حَيْرَانَ} ممكن أن يرجع لطريق الهدى، فيريدونه أن يوقن أن الباطل هو الصواب، يريد أخذه معه تمامًا، ويظل يقول: ألست حيران، هنا الهدى معنا تعال {لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا}[الأنعام ٧١].

إذًا {لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ}[الأنعام ٧١] تحتمل الاثنين إما أن له أصحاب مؤمنون حقًا يدعونه إلى الهدى ائتنا ودعك من هذه الحيرة وأن هدى الله هو الهدى، عندما يقول لك ما الهدى؟ أنت هنا تقول له الأساسيات، الذي يأتي حيران لا تكلمه في الفروع، انتبه هذه نقطة مهمة جدًا في الدعوة، الذي يأتي لك حيران يقول لك: أنا لا أعلم الجماعة الفلانية صح أم خطأ، قل له دعك من كل هذا تعال نرجع

للأصول {وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}[الأنعام ٧١-٧٢] تحدث معه عن الأساسيات {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ}[الأنعام ٧٣] حدثه عن الله، عن توحيد الله، عن البعث، عن اليوم الآخر، عن الصلاة، عن التقوى، تحدث معه في الأصول. لا تكلمه في الفروع الآن، لا تجاوبه عن شبهة فرعية أصلها ليس متأصلًا عنده، يعني شخص أصلًا لا يفهم فكرة السنة وكيف وصلت لنا، ويقول لك: أنا لا أصدق البخاري، فهِّمه أصلًا ماذا تعني السنة.

أو عنده إشكالية في أحاديث أبو هريرة، وكيف يروي أبو هريرة أحاديث كثيرة، قبل أن ترد فهّمه ما معنى السنة، وكيف حفظ الله الدين، وكيف أن القرآن نفسه محفوظ ولكن بدون السنة سيفقد قيمته للناس لأن السنة تفسر القرآن وتشرحه عمليا... أشرح له هذه الأصول.

أو{لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا}[الأنعام ٧١] قلنا إما تحتمل أن أهل الإيمان خائفين على صاحبهم الذي ضاع ولا يريدون تركه، ولديهم فقه في الدعوة، عندما ذهبوا ليكلموه كلموه في الأصول.

أو المعنى الثاني أن هذا الحيران أهل الباطل لا يريدون تركه حيرانًا، سيظلون يدعونه إلى أن ينقلوه أن يكون مستقرًا في الباطل والعياذ بالله {لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}[الأنعام ٧١]

نكتفي بهذا القدر ونكمل المرة القادمة إن شاء الله،

أسأل الله عز وجل أن يتقبل منا ويوفقنا لفعل ما يحبه ويرضاه.

جزاكم الله خيرًا، سبحانك اللهم وبحمدك نشهد ألا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب اليك.وجزاكم الله خيراً.